

الانشاء في المدارس الثانوية

لہو۔ تار محمد علی مصطفیٰ

اتجهت عناية وزارة المعارف في العام الماضي إلى تدريس الإنشاء في المدارس الثانوية ، فأرسلت مفتشيها لزيارة المدارس في المناطق المختلفة ، وتقديم تقارير وافية عما يجدونه من نواحي الضعف أو القوة .

وقد ترتبت على هذه الحركة نتائج غير منتظرة ، أثارت السخط عند فريق من المدرسين ، والرضا عند فريق آخر .

وإني لأتقدم إلى مدرسي اللغة العربية في المدارس الثانوية ببعض الملاحظات التي عنت لي ، حين زيارتي لبعض المدارس ، وإطلاعي على كراسات الأعمال التحريرية ، لعلمهم يجدون فيها ما يحفزهم إلى إجادة العمل ، والمبالغة في إتقانه . وأعتقد أن هذا أنسب الأوقات لإبداء هذه الملاحظات ، فنحن في مفتتح عام دراسي ، نستعد للقاءه ، والقيام بما يجب علينا فيه ، حتى نخدم لغتنا ووطننا ، بتنشئة جيل صالح ، مستعد لحمل التبعات التي تلقيها الأيام المقبلة على عاتقه .

١ - الطريقة :

يجري تدريس الإنشاء في جملة في المدارس التي زرتها على طرق سليمة ، وإن كانت تتفاوت في مبلغ الإفادة ، تبعا لاختلاف المعلمين في كفاياتهم العملية ، وحسن استخدامهم لهذه الطرق ، وتوفيقهم في اختيار الموضوعات ، وأساليب إصلاحيها ومداها .

وتدل کراسات التلاميذ غالبا على شيء من التقدم، قد لا يكون سريعا جليا، في خلال عام دراسي واحد، ولكن القاري حين يتتبع الكراسات،

سنة فسنة ، يشعر بالتقدم ، ويحسه في نواح كثيرة ، يحسه في الناحية العقلية ، إذ يدرك أن الأفق العقلي للتلميذ يمتد تدريجاً ، ويتسع حتى يشمل كثيراً من المسائل ، ويحسه كذلك في ترتيب الأفكار ، ووضع كل فكرة في مكانها اللائق من الموضوع . ويحسه في الثروة اللغوية ، وفي القدرة على الترسُّل ، وفي تنوع أساليب البيان ، وفي جمال التصوير ، وفيما قد يكون للكاتب من سلطان أدبي على نفس القاريء ، ويحسه في حُسْر السبك ، إذ تكون الجمل في السنة الأولى قصيرة مفككة الأوصال ، والموضوع مهمل النسيج ، ثم يرقى الأسلوب شيئاً فشيئاً ، كلما قطع التلميذ سنة دراسية .

٢ - الموضوعات :

وتتبع الموضوعات التي كتب فيها التلاميذ بالعد ، فوجدتها تتراوح بين أحد عشر وخمسة عشر ، ولكن غالب الكراسات يحتوى على ثلاثة عشر ، أو أربعة عشر موضوعاً .

وتناول المدرسون إلى جانب الموضوعات الكتابية موضوعات أخرى شفوية اقترحوها على تلاميذهم ، وناقشوها عناصرها وطلبوا منهم أن يتحدثوا فيها . والموضوعات الكتابية لا توزع على شهور السنة الدراسية ، توزيعاً متناسباً ، ففي بعض الفرق يتم عدد الموضوعات المقررة في نهاية شهر مارس أو قبلها ، أو في منتصف أبريل غالباً ، ومعنى هذا أن التلاميذ لا يكلفون كتابة موضوعات إنشائية في شهرى إبريل ومايو ، مع أن الكتابة عادة عملية ، تجود بالمزاولة ، ولا شك أن الأفكار يعتريها الجمود ، والأقلام تصدأ إذالم تجرب بالجدد من الأساليب ، والتجربة العملية أصدق شاهد على ما أقول .

وللمدرسين عناية باختيار الموضوعات ، إذ يتلمسونها من البيئة التي يعيش فيها التلاميذ ، ويؤثرون من بينها المشكلات المهمة التي تشغل بال الناس ، وربما تجاوزوا البيئة الخاصة إلى البيئة العامة ، وإلى أحداث العالم برمته ، ولا سيما

ومن بين الموضوعات عدد يثير حماس الشباب، ويهيج عاطفته الوطنية .
ويبحث فيه الاعتزاز بالقومية المصرية، ويحضه على عمل الخير في أوسع
معانيه، وأيسر مabile .

غير أن هناك موضوعات قليلة من الطراز القديم، وموضوعات أراها واسعة المجال على الطالب، فلا يستطيع علاجها علاجاً شاملاً موفقاً، لقلة علمه بها، وبعده عن التفكير فيها، اللهم إلا ما قد يصل إليه من معلومات متفرقة، عن طريق الصحف أو نحوها.

وإني لأذكر على سبيل المثال الموضوعات الآتية :

- ١ - فوائد الحيوان للسنه الثانيه
٢ - الاقتصاد وآثاره »
٣ - فوائد الحديد »
٤ - أزمة القطن : أسبابها وعلاجها »
٥ - توليد الكهرباء من مساقط المياه »
٦ - وصف القاهرة في يوم مطير »
٧ - شرف العطاء كالوردة إذا سقطت منها ورقة { للسنه الخامسة
تأثر الباقي على الأثر

ولاحظت أن المدرسين يؤثرون الموضوعات الأدبية والخيالية على الموضوعات العلمية، ولعل عذرهم في ذلك أنهم ليسوا من رجال العلم.

والمقالات التي يقصد منها تحقيق مسألة تاريخية، أو رأى في الأدب والاجتماع لا وجود لها، ولاحظت كذلك أن جميع الموضوعات من اختيار المدرسين، وأن الفصل برمته يكتب في موضوع واحد أو موضوعين على

الأكثر، بما يملئ المدرس، وأرى أن يترك للتلاميذ - لاسيما في الفرق المتقدمة - شيء من حرية الاختيار، فيتخير التلميذ، تحت إرشاد المدرس، الموضوع الذي يروقه ويتصل به اتصالاً وثيقاً، ويثير فيه لونا من ألوان الوجدان، حتى يدرسه ويسترسل في الكتابة ويبدع فيه، ويظهر أن الإقناع في الوقت الحاضر لا يتوقف على المنطق وحده، بل قد يستطيع الكاتب التقدير أو الخطيب المفوه، أن يأخذ بقلوب القارئ، أو السامعين، ويسخرهم لغاياته، وعماده في ذلك ما تجيش به نفسه من حماس دافع، وقوة إيمان، وسحر بيان، حتى إذا لم يكن ما يقوله حقا مسلما به .

ولذلك نجد التلاميذ يحسنون الكتابة في الموضوعات التي تمس عاطفتهم
٣ - الإصلاح :

إن إصلاح الإنشاء من المشكلات المعقدة، التي حار فيها علماء التربية، والمدرسون يبذلون فيه جهوداً مضنية، ويقضون في القيام به على وجه مرضي الساعات الطويلة، ولكن الفائدة التي تعود على التلاميذ منه قليلة، والتقدم بطيء .

ويرجع هذا إلى أن بعض المدرسين، حين يكتب صواب ما غلط فيه التلميذ بالمداد الأحمر، يزعم أن الإصلاح قد تمت مرحله، وأن ليس عليه بعد ذلك سوى أن يرد الكراسات إلى أصحابها، حتى يروا ما قد نالوا من درجات . على أن البعض الآخر لا يقف عند هذا الحد، بل يعود على العلاج الإيجابي، فيناقش المخطئين في صواب خطئهم، حتى يهتدوا إليه، فيكلفهم كتابة الصواب مرة أو أكثر، حتى يثبت في أذهانهم، وتجري به أقلامهم وألسنتهم . أما الإصلاح الشخصي لتلميذ بعينه ففكرة لا تلقى قبولا عند عامة المدرسين، فإن للنظام الموروث سلطانا على نفوسهم؛ لا يستطيعون التخلص منه، فهم لا يرون أن يقسم الفصل إلى جماعات، تقوم كل جماعة بعمل معين تحت

إشراف المدرس ، الذي يختص جماعة منها بالمناقشة والإرشاد ، إلى صواب ما حدث من خطأ ، لاشيوع له في الكراسات ، مع أن هذا يسير ، وهو الطريق الفرد ، الذي يمكننا من الحصول على مزايا التعليم الجمعي والفردى معا . وخير من الوقوع في الخطأ ثم تلص السبل لعلاج سد المنافذ التي يتسرب منها الخطأ بادي بدء ، وإنما يكون ذلك بالإشراف على التلاميذ حين يكتبون مسودة الموضوع ، وبالمرور بين صفوفهم لإفادتهم في كل ما يعرض لهم من مشكلات ، وبتعويدهم دقة الفكر وترتيب العناصر ، والاقتصار على ماله صلة وثيقة بالموضوع ، دون مبالغة ينبوعها الذوق ، أو تهويل كاذب يطمس معالم الحقيقة ، أوثررة تعافها النفس .

ويقوم المدرسون بإصلاح الموضوعات الإنشائية ويوزعون عنايتهم على النواحي الآتية : —

١ — الناحية الفكرية ، وتشمل النظر في الأفكار التي تندرج تحت الموضوع من حيث صحتها وترتيبها وإحكام الربط بينها .

٢ — الناحية اللغوية ، وتشمل مراعاة قواعد النحو والصرف ، وأصول البلاغة ، واستعمال الألفاظ في المعاني التي وضعت بإزائها .

٣ — الناحية الأدبية ، وأعني بها أسلوب الأداء ، ومراعاة الذوق الأدبي فيه ، وجمال التصوير ، وحسن المدخل ، وسوق الأدلة في وضوح وقوة ، والاستعانة بالمحفوظ من كلام البلغاء ، وحديث الرسول ، وآي القرآن الكريم في المواضع التي يحمل فيها ذلك .

على أن الناحية اللغوية تنال جانبا كبيرا من العناية ، وأحيانا تطفئ على الناحيتين الآخرين .

٤ — العيوب الظاهرة .

والمتبع لكراسات الإنشاء في المدارس الثانوية يعثر فيها على العيوب

الآتية ، وهي لحسن الحسن قليلة الدوران ولكنها تستحق العلاج .

١ - الثروة الفكرية عند التلاميذ قليلة ، وهي تجمع بين الصحيح والزائف .

٢ - إهمال الترتيب المنطقي ، أو الطبيعي في الموضوعات الوصفية ، وعدم تماسك الأفكار ، وسوق الدليل في غير مكانه ، وفي كثير من الفتور والتخاذل .

٣ - الوصف في الموضوعات الوصفية غير مشخص ، إذ يلجأ الطالب أحيانا إلى وصف صفات عامة لا تميز الموصوف من غيره ، والسبب في هذا ضعف الملاحظة ، على ما أعتقد ، والحاجة إلى الثروة اللغوية .

٤ - عدم تقسيم الموضوع إلى فقر ، كل فقرة تؤدي فكرة ، على نحو ما نجد في كتب اللغة الإنجليزية ، والكتب الجديدة في اللغة العربية .

٥ - نزول الأسلوب واضطرابه ، والتواء جملة ، حتى لا تؤدي معنى ، أو يعز على القارئ أن يفهم المراد - هذا إلى عدم مراعاة وحدة الزمن ، وإلى ضمائر لا يعلم مراجعها ، وإلى خطأ في استعمال الألفاظ ، وإلى انتقال فجائي من خطاب إلى غيبة ، ومن جمع إلى مفرد ، وهكذا .

ومثال ذلك ماورد في بعض الكراسات .

١ - « بل ستضرب (وزارة الشؤون) بيد من حديد ، وتنفذ بسيف القوة تلك المخازي الشاطئية ، والمراقص العريانة والشيوعية » .

٢ - « لقد كان لتلك المدنية الزائفة ، مدنية القرن العشرين ، ولهذه الحضارة الملوثة بالجراثيم ، التي قلدنا بها الغربيين تقليدا أعمى ، مبعثه التقدم والرقى ، فكان مآله الانحطاط والتأخر ، ماجعلنا نحن الأمة المصرية الراقية الإسلامية ، أن نرى شبابنا يخرج وقد عملوا في وجوههم وملبسهم ماتعمله كل فتاة رجا . البحث عن غانية سافرة » .

٣ - « أما أنه ذاهب إلى ميدان القتال طائع مختار (هكذا) فهذا فيه

كل شك وأما أنه ذاهب إلى ميدان القتال وقلبه يتفت وأحشاؤه تنقطع

- فهذا مالا شك فيه
- ٤ - « إني اشتري الوطن بدمي ، لأن الإنسان إذا عاش طول حياته حرا أفضل من أن يعيش يوما ذليلا . »
- ٥ - مجافاة الذوق الأدبي في الأداء مثل :
- ١ - « الحرب ماؤه (هكذا) الدماء ، وسمكه (هكذا) الأموال والأنفس والثمرات . »
- ٢ - « ارتفع صوت المقرئ كأنه النجم الساطع . »
- ٦ - التهويل الذي يمسح الحقيقة مثل :
- ١ - « فاقصد المصريون في معيشتهم ، وأموا لهم ، لأن التجارة انقطعت عنهم برا وبحرا ، انقطاع الجذور عن النبات ، لأن البحر كان هائجا ، في أثر الحرب في مصر . »
- ٢ - « إن مال الأغنياء ليس لهم وحدهم ، بل لهم النصف ، وللفقراء الآخر ، وهذا أمر الله ، ومن يخالف أمره تعالى أعدت له النار سكنا . »
- ٧ - التكرار المخل بالفصاحة ، مثل :
- ١ - « ولكنه استعمل الروية ، وتأتى بعض الشيء ، فأخذ يفكر ، ويفكر ، وكيف لا يفكر ، ويجب عليه أن يفكر ، إذ هو الرجل الذي ينظر نظرة جدية إلى الأشياء . »
- ٢ - « إن لزيارة الرئيس آثارا لا يمكن حصرها ، ومزايا لا يسهل عدها ، وفوائد لا يمكن جمعها ، فهي وإن كانت في ظاهرها زيارة ، فهي في باطنها تفقد . »
- ٨ - تحريف في بعض ما يساق في ثنايا الموضوع من كلام البلغاء وآي القرآن الكريم .
- ٩ - علاج الخطأ بطريق إيجائي لا يلقي ما يستحق من عناية لدى بعض المدرسين .

١٠ - إهمال علامات الترفيم مع ما لها من فائدة ، لاسيما إذا طالت الجمل واشتبك بعضها في بعض .

١١ - الاختلاف في تقدير الدرجات .

١٢ - قلة العناية بتنظيم الكراسات .

١٣ - رداءة الخط غالبا .

على أنى أسارع إلى أن أطمئن زملائي المدرسين ، فأعلن في صراحة ، أنني قرأت لبعض التلاميذ موضوعات أدبية راقية الأسلوب ، وهي تبشر على على الأقل بأنهم ، إذا استمروا على جدهم ومثابرتهم ، سيكونون كتابا مبدعين ، لهم قدرة على الإطالة ، والترسل ، وفيهم قوة الإقناع بما يسوقون من حجة ناصعة ودليل قوى .

محمد علي مصطفى

